من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أـ كان فقيرًا لا يملك شيئًا، وكان يكتسب قوته من رعي الغنم، ولكنه فتى من قريش ومن أشرافها، ورعي الغنم قد يليق بالصبية وبأمثالهم من الذين لم يقدم إليها الشباب، فأما اذا شبوا واستتموا قوتهم فليس لهم بد من ان يسلكوا طرقا اخرى إلى الرزق، وعمه صاحب تجارة وقد مات ابوه تاجرا وجده كان صاحب تجارة ايضا لما يمنعه ان يسلك الطريق التي الفت قريش سلوكها؟ وقد أقبل عليه قومًا، فكان «خديجة بنت خويلد» امرأة غنية من أكثر قريش مالًا، وأعظمهم نسبًا، قد جهزت تجارة مضاعفة إلى الشام، ونصح له بأن يكون رسولها في تجارتها تثق به، وانتباه بأنه يستطيع أن يسعى في ذلك عند «خديجة» إن صح عزمه على السفر، فقبل الفتى، ورضيت خديجة، ورافقته مكة ذات يوم خارجًا في قافلتها إلى الشام، يصحبه غلام خديجة يقال له: «ميسرة»، وقد بلغ الغلام فباع واشترى وعاد مع القافلة، فأدى إلى خديجة تجارتها، وأتى إليها مع هذه التجارة ربحًا لم يفتح لها في تجارة قط، وكان الله لم يجعل هذه التجارة إلا وسيلة لشيء آخر وراءها، فقد وقع الفتى في قلب خديجة، وإذا هي ترسل إليه مخبرة له بخطبتها، وإذا هو يخطبها، فيصبح لها زوجًا، وهي تكبره بخمس عشرة سنة فيما يقول الرواة. ومنذ ذلك اليوم عاش في مكة عيشة المترفين، لا يشكو حاجة، ولا يجد ضيقًا، كما قال الله عز وجل في سورة الضحى: «ووجدك عائلًا فأغنى»، وقد أتيح له من خديجة الولد، وأتيح له معها الأمن والدعة. جـ ولكنه في ذلك الطور من أطوار حياته ظهرت فيه خصال لم تكن مألوفة في شباب قريش، فهو شديد النفرة من اللهو، وشديد النفرة من اللغو أيضًا، وهو أبعد الناس عن التكلف، وأقربهم إلى الإسماح واليسر، وهو أبغض الناس لهذه الأوثان التي كان قومه يعبدونها مخلصين أو متكلفين، وهو أصدق الناس إذا تكلم، وأوفاهم إذا عاهد، وأبعدهم من كل ما يزري بالرجل الكريم، وهو بعد ذلك أوصل الناس للرحم، وأرعاهم للحق، وأشدهم إيثارًا للبر، فهو يجود عنه الذي كفله صغيرًا ويشاء، قد كثر والده وقل ماله، ويريد أن يعينه دون أن يؤذيه، فأخذ منه صبيه «عليًا»، ورباه عليه من العناية واللطف والبر بعض ما أدى إليه أبوه حين كان صبيًا يتيمًا، وقد شاعت عنه هذه الأخلاق، وعرف بهذه الصفات حتى أحبته قريش، وسمته «الأمين»، وعاملته على أنه الأمين حقًا. الكاتب: طه حسين

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي